

مقدمه كتاب التوحيد

تأليف الأستاذ أبي العباس حرمين بن سليم اللبوري الأندلسي رحمه الله

مقدمه

محققه وفتح له: أبو أحمد محمد بن سليم اللبوري الأندلسي عفا الله عنه

مَقْدَمَةُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ

نَاثِقُ:

الْأُسَافِرُ إِلَى الْعَبَّاسِ حَرَمِينَ بْنِ سَلِيمٍ اللَّبُورِيُّ الْأَنْزُونِيُّ

رَحِمَهُ اللَّهُ

مُحَقِّقُهُ وَقَرَّحَ لَهُ:

أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمٍ اللَّبُورِيُّ الْأَنْزُونِيُّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الْمُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: 70، 71].
أَمَّا بَعْدُ:

فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ دَاعٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَمِنْ الدُّعَاةِ الْمُعَاَصِرِينَ أَسْتَاذُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ حَرَمِيُّ بْنُ سَلِيمٍ اللَّمْبُورِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (1434)، قَدْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَلَّفَ كِتَابًا ضَمَّنَهُ مَا يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ.

وَمَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِّمَةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [مُحَمَّدٌ: 19].

وَأَمَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ قَوْمَهُمْ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [التَّحَلُّ: 36].

فَدَعَا التَّوْحِيدَ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى: {وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الْعَنْكَبُوتُ: 16].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [النُّوحُ: 1-3].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ} [النَّمْلُ: 45].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا
تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الْعَنْكَبُوتُ: 36].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا
تَتَّقُونَ} [الأعرافُ: 65]¹.

وَمِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ جَدًّا، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِهِ
عَلَى الطَّحَاوِيَّةِ": وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِهِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ
يُقَرَّرُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُبَيَّنُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَلَزِمٌ أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ. اهـ.

¹ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْأَنْبِيَاءُ لَا يَأْمُرُونَ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَخُدَعِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ وَطَاعَةِ
الشَّيَاطِينِ".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَرَمِيُّ بْنُ سَلِيمٍ اللَّمْبُورِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

التَّوْحِيدُ هُوَ أَصْلُ مُهِمٍّ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلُ كُلِّ عَمَلٍ².

وَقَدْ بَيَّنَّتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَنَّ الْعَمَلَ مَعَ التَّوْحِيدِ هُوَ الَّذِي يُوصِلُ النَّاسَ إِلَى حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ وَسَعَادَةٍ حَقِيقَةٍ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [التَّحْلُ: 97].

وَالتَّوْحِيدُ لَيْسَ أَنْ تَعْلَمَ وَتَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَالَمِينَ³، وَلَيْسَ أَنْ تَعْرِفَ وَخَدَائِعَةَ اللَّهِ، وَلَيْسَ أَنْ تَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ فَقَطْ، لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، بَلْ يُؤْمِنُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: 82]⁴.

وَكَذَلِكَ الْقَوْمُ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ الْعَرَبِيِّينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ الْخَالِقُ وَالْمُدَبِّرُ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا

² وَالْعَمَلُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ إِلَّا بِهِ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْفَارِقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَهُوَ تَمَنُّ الْجَنَّةِ وَلَا يَصِحُّ إِسْلَامُ أَحَدٍ إِلَّا بِهِ".

³ الْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ اسْمٌ لِكُلِّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

⁴ وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [ص: 76]. فِيهِ إِثْبَاتٌ مِنْ إِبْلِيسَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ. وَقَالَ إِبْلِيسُ: {رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الحِجْر: 36] وَقَالَ: {رَبِّ إِنَّمَا أَعُوذُ بِكَ لَأُرْسِلَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحِجْر: 39]، وَقَالَ: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإِسْرَاء: 62].

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَمَّا هَذَا مِنَ الْخُطَابِ الَّذِي يُقَرُّ فِيهِ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ وَخَالِقُ غَيْرِهِ".

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا
يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ { [الْمُؤْمِنُونَ: 84-89].

إِنْ اِعْتَقَادَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ بِذَلِكَ لَا يَجْعَلُهُمْ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَعْنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ
بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى⁵.

وَأَنَّ التَّوْحِيدَ يَتَضَمَّنُ فِي كَلِمَةٍ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، وَمَعْنَاهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، وَأَمَّا
سِوَى اللَّهِ فَعِبَادَتُهُ بَاطِلٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الْحَجُّ: 62]⁶.

فَكَلِمَةُ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، فِيهِ بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعِبَادَ مِنْ
أَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الدَّارِيَاتُ: 56].
وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَيْضًا أَرْسَلَ اللَّهُ رُسُلًا وَأَنْزَلَ كُتُبًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبِيَاءُ: 25]⁷.

⁵ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ كَانُوا مُقَرَّبِينَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ،
فَمَنْ كَانَ هَذَا مُنْتَهَى تَحْقِيقِهِ كَانَ أَقْرَبَ أَنْ يَكُونَ كَعِبَادِ الْأَصْنَامِ".

⁶ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ جَمِيعَ مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَصِفَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ مَمْلُوكَةٌ لِلَّهِ، وَهُوَ رَبُّهَا
وخالِقُهَا وَمَلِيكُهَا وَمُدَبِّرُهَا، لَا رَبَّ لَهَا غَيْرُهُ وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ لَهَا، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا مُعِينٍ، بَلْ هُوَ
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ
شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۚ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}.

⁷ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَرَأْسُ الْإِسْلَامِ مُطْلَقًا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبِهَا بَعَثَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

وَبَدَأَ الرُّسُلُ دَعْوَتَهُمْ بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: 59].

وَبِهَذِهِ الدَّعْوَةِ أَيْضًا قَامَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشَرَ سَنَةً، وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَيَقُومُ فِي تَرْبِيَةِ أَصْحَابِهِ وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْدَأُوا دَعْوَتَهُمْ لِلنَّاسِ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى عِبَادٍ أَوْ إِلَى بِلَادٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»⁸.

نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْخَلِيلِ: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}، وَقَالَ تَعَالَى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}، وَقَالَ تَعَالَى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}.

⁸ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "صَحِيحِهِ"، وَبَوَّابٌ فِيهِ: "بَابُ بَعْثِ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ"، وَبَوَّابٌ أَيْضًا: "بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتُرْدُ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا".

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "صَحِيحِهِ"، وَبَوَّابٌ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهِ: "بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ".

وَبِهَذَا الشَّرْحِ نَعْلَمُ أَنَّ التَّوْحِيدَ فِي الدِّينِ مُهِمٌّ وَأَنَّ مَنَزَلَتَهُ مُهِمَّةٌ جَدًّا فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ، وَهُوَ أَصْلُ يُبْنَى بِهِ كُلُّ عَمَلٍ. وَمَنْ يَقُولُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ يُطْلَبُ مِنْهُ أَنْ يَعْرِفَ مَعْنَاهَا ثُمَّ يَعْمَلَ مَا يَتَضَمُّ مِنْهَا، وَيُطْلَبُ مِنْهُ أَيْضًا أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَيَكْفُرَ كُلَّ عِبَادَةٍ سِوَى اللَّهِ⁹.

⁹ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَرَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ أَهْلَ الْمِلَلِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ جَمِيعُهُمْ نُهُوا عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَكَفَرُوا مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَى اللَّهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}. وَقَالَ الْخَلِيلُ: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} {أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} وَقَالَ الْخَلِيلُ: {لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بُرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُهُ} وَقَالَ الْخَلِيلُ -وَهُوَ إِمَامُ الْحَنْبَلِ- الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْمِلَلِ عَلَى تَعْظِيمِهِ لِقَوْلِهِ: {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. اه، الْحَمْدُ لِلَّهِ.